البلاغة الميسرة

الجزء الأول

دكتور
عبد العاطي شلبي
مدرسة شارل بورومي الألمانية

٢٠٠٣

المكتبة الجامعية
الأزاريطة - الأسكندرية
تليفاكس: ٤٨٤٣٨٧٩

البلاغة الميسرة

البلاغة الميسرة

الجزء الأول : علم البيان

دكتور

عبد العاطى شلبى

مدرسة سان شارل بورومي الألمانية

٢٠٠٣

ا

المكتبة الجامعية

البلاغة وعلم الجمال

قال أبو هلال العسكرى : « ان أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله – جل ثناؤه – علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، فما هى البلاغة ؟ وما هى الفصاحة ؟

لقد تعددت التعريفات فى ذلك . وقد قيل عن الفصاحة : إنها من قولهم أفصح فلان عما فى نفسه إذا أظهره ، والشاهد على أنها هى الإظهار لقول العرب : أفصح الصبح إذا أضاء . وإذا كان الأمر كذلك فالفصاحة والبلاغة ترجمان إلى معنى واحد وان إختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنماهو الإبانة عن المعنى والإظهار له . وقد قال بعض العلماء : الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى .

ويرى البعض أن الفصاحة هى عدم وجود أى تنافر بين اللفظة السابقة والتى تليها . أى أن الفصاحة هى تجانس الألفاظ وتآلفها فى جسم واحد .

ان تداخل الألفاظ فى بعضها يشكل جسدا متناسق الأجزاء والأطراف .

أما البلاغة فهى مأخوذة من قولهم : بلغت الغاية . أى انتهيت إليها وبلغتها غيرى . ومبلغ الشيء منتهاه . والمبالغة فى الشيء. الانتهاء إلى غايته . فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، ويقال : بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغ القول . وكلام بليغ. ويقال أبلغت فى الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه ، والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم فيقال : كلام بليغ ولا يقال : رجل بليغ.

وقال بعضهم : البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير .

وقال أحدهم : كل من أفهمك حاجته فهو بليغ .

ونرى أنه قد تكون البلاغة فى الإشارة وفى الإيماء أو حتى فى السكوت وفقا لمقتضى الحال، وفى هذا يقول الشاعر :

فاعلم بأن السكوت إبانه * ومن اللفظ ما يكون خبالا**

وقد قامت نظريات وفرق متعددة ، منها من كان يفضل المعنى على المبنى ومنها من كان يؤثر المبنى على المعنى .

فبعضهم يرى أن الفصاحة اختصت باللفظ، وأنها ليست سوى التلاؤم اللفظى وتعديل منهج الحروف حتى لا يتلاقى فى النطق حروف صعبة التلفظ ، من هنا رأوا أن المعانى انما تكشف عبر الألفاظ . ولا قيمة للمعنى بدون اللفظ .

وقد نادى آخرون بأهمية المعنى ، ويرون أن المهم هو ترتيب المعانى حسب مقتضى الكلام وبعد ذلك تنساق الألفاظ بسهولة بما يتناسب المعنى أى أن المعانى هى التى تسير دقة الكلام .

ومن هنا لايمكن أن نفصل بين المعنى والمبنى . فعلى اللفظ أن يأتى موافقاً للمعنى . إن أى تنافر بين الألفاظ والمعانى يفكك العمل الأدبى ويبعده عن مواطن الجمال. لاجمال ولا بلاغة بدون تجانس بين اللفظ والمعنى ، بين الشكل والمضمون ، بين الجسد والروح .

إن الجمال الفنى هو قيمة جمالية يلمسها الانسان ويتذوقها بفطرته إن الاحساس بالجمال ولد مع الانسان منذ الأزل . على أن الأذواق تتمايز وتتفاوت ولذلك فان الحكم على قيمة عمل ما إنما يتعلق ببنية هذا العمل ولكن ليس هذا العامل هو الوحيد للتقييم والحكم ،

فمن أجل فهم القيم الجمالية لأى عمل أدبى يجب تخطى التقسيم الموضعى القديم الذى يفصل العمل عن قارئه. ان قيمة العمل منصهرة فيه ولكنها لاتظهر إلا حين يبدأ القارىء فى التحليل ، وثمة وحدة ديناميكية موجودة إذن بين العمل والقارىء .

ان كل تحليل أدبى ، عليه أن يبين القيم الجمالية للعمل، ولا يمكن وضع حدود للقيم الجمالية لأن الجمال لا متناه ، ولايمكن أن يحصر ويحدد، إنه حس وفن وذوق وفهم وهذه كلها أشياء نسبية لا قياس لها .

وبما أن البلاغة علم فنى يدرس جماليات العمل الأدبى فلا بد لنا من دراسة علوم البلاغة .

** ** **

علم البيـــان

هو علم يعبر به عن المعنى الواحد بعدة وجوه مع وجود دلالة تشير إليه . إن المعانى تؤدى أغراضها عبر طريقتين :

الأداء الحقيقى يكون حين يدل الكلام على الحقيقة عينها التى وضع لها ، ولا دخل للخيال فيه . لذا ، فهو لايحتوى على مجاز أو تشبيه، ولا يخفى وراء معانيه الظاهرة معان أخرى خفية .

أما الأداء الخيالى فهو حين يتضمن الكلام معان مستترة وراء المعانى الحقيقية ، أو حين يكن به عن معنى آخر أو غير ذلك مما يدخل فى علم البيان ، ومما يسمى الفصاحة فى اللفظ. ويتفرع علم البيان إلى أربعة فنون هى :

التشبيه ، الاستعارة ، المجاز ، الكناية .

** ** **

التشبيه

(١) أَرْكانُهُ

الأَمثلة

(١) قال الْمَعَرِّى فى الْمَديح :

أَنْتَ كالشَّمْس فى الضِّياءِ وَإنْ جا وَزْتَ كيوانَ فى عُلُوّ المكان(١)

(٢) وقال آخرُ :

أَنْتَ كاللَّيْثِ فى الشَّجَاعةِ والإقْـــدامِ وَالسَّيْفِ فى قِراعِ الخُطوب(٢)

(٣) وقال آخرُ :

كأَنَّ أَخْلاقَكَ فى لُطْفِها ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباحْ

(٤) وقال آخرُ :

كأَنَّما الْمــاءُ فِى صفاءٍ وَقَدْ جَرَى ذَائِبُ اللُّجَيْن(٣)

** ** **

الشـــــــرح :

نلاحظ فى كل بيت من الأبيات السابقة أن شيئا جعل مثيل شىء فى صفة مشتركة بينهما ، وأن الذى دل على هذه المماثلة أداة هى الكاف أو كأن ، وهذا ما يسمى بالتشبيه ، ونرى أن لابد له من أركان أربعة : الشىء الذى يراد تشبيهه ويسمى المشبه ، والشىء الذى يشبه به ويسمى المشبه به ، وهذان يسميان طرفى التشبيه ، والصفة المشتركة بين الطرفين

وتسمى وجه الشبه ، ويجب أن تكون هذه الصفة فى المشبه به أقوى وأشهر منهما فى الشبه ، ثم أداة التشبيه وهى الكاف وكأن ونحوهما .

ولا بد فى كل تشبيه من وجود الطرفين ، وقد يكون المشبه محذوفا للعلم به ولكنه يقدر فى الإعراب، وهذا التقدير بمثابة وجوده كما إذا سئلت .. كيف على ..؟ فقلت « كالزهرة الذابلة » فإن « كالزهرة» خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير هو الزهرة الذابلة .

** ** **

الإستنتـــــاج :

١ - التشبيه : بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها فى صفة أو أكثر، بأداة هى الكاف أو نحوها ملفوظة ، أو ملحوظة .

٢ - أركان التشبيه أربعة هى ، : المشبه ، والمشبه به ، ويسميان طرفى التشبيه ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر فى المشبه به منه فى المشبه .

** ** **

(٢) أقسام التشبيه

الأمثلة :

(١) أَناكالماءِ إِنْ رَضيتُ صفاءً وإِذَامَاسَخِطتُ كُنتُ لهيبا

(٢) سِرْنا فى ليل بَهيمٍ (١) كأَنّهُ البَحْرُ ظَلاماً وإِرْهاباً .

(٣) قال ابنُ الرُّومىّ (٢) فى تأْثير غِناءِ مُغَنٍّ :

فَكَأَنَّ لذَّةَ صَوْتِهِ وَدَبيبَها سِنَةٌ تَمَشَّى فِى مَفَاصِلِ نُعَّسِ (٣)

(٤) وقال ابنُ المعتزّ :

وكأَنَّ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ دِيـ ... نارٌ جَلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَّابِ[٤]

(٥) الجَوَاد فى السرعة بَرْقٌ خاطِفٌ.

(٦) أَنْتَ نجْمٌ فِى رِفْعةٍ وضِياءٍ ... تجْتَليكَ الْعُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا[٥]

(٧) وقال المتنبى وقدِ اعْتَزَمَ سيفُ الدولةِ سَفَرًا :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهذا الْهُمامُ ؟ ... نَحْنُ نَبْتُ الرُّبا وأَنْتَ الْغمام[٦]

(٨) وقال الْمُرَقَّش :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوه دَنا ... نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَم[٧]

** ** **

الشـــــرح :

إذا تأملنا التشبيهين فى المثالين الأول والثانى رأينا أداة التشبيه مذكورة بكل منهما ، وكل تشبيه تذكر فيه الأداة يسمى مرسلا ، وإذا نظرنا إلى التشبيهين مرة أخرى رأينا أن وجه الشبه بيّن وفصّل فيهما، وكل تشبيه يذكر فيه وجه الشبه يسمى مفصلاً .

وفى المثالين الثالث والرابع لم يذكر وجه الشبه ، ويسمى هذا النوع من التشبيه ، وهو الذى يذكر فيه وجه الشبه، تشبيها مجملاً .

وفى المثالثين الخامس والسادس لم تذكر أداة التشبيه ، وذلك لتأكيد الإدعاء بأن المشبه عيّن المشبه به ، وهذا النوع يسمى تشبيها مؤكدا .

وفى المثالين السابع والثامن نرى فيهما التشبيهات من نوع التشبيه المؤكد، ولكنها جمعت إلى حذف الأداة وجه الشبه ، وذلك لأن المتكلم عمد إلى المبالغة ، والإغراق فى ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك أهمل الأداة التى تدل على أن المشبه أضعف فى وجه الشبه من المشبه به، وأهمل ذكر وجه الشبه الذى ينم عن اشتراك الطرفين فى صفة أو صفات دون غيرها . ويسمى هذا النوع بالتشبيه البليغ، وهو مظهر من مظاهر البلاغة وميدان فسيح لتسابق المجيدين من الشعراء والكتّاب .

** ** **

الإستنتــــاج :

١ – التشبيه المرسل ما ذكرت فيه الأداة .

٢ – التشبيه المؤكد ما حذفت منه الأداة .

٣ – التشبيه المجمل ما حذف منه وجه الشبه .

٤ – التشبيه المفصّل ما ذكر فيه وجه الشبه .

٥ – التشبيه البليغ ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه .

** ** **

(٣) تَشْبيهُ التَّمثيل

الأَمثلة

(١) قال البُحْتُرِىُّ :

هُوَ بَحْرُ السَّماحِ والجُودِ فَازْدَدْ مِنْهُ قُرْباً تَزْدَدْ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدَا[٣]

(٢) وقال امْرُؤُ الْقَيْس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عليّ بـأَنْواعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلى[٤]

* * *

(٣) وقال أَبو فِراس[٥] :

والْماءُ يَفصِلُ بَيْنَ رَوْض الـ   زَّهْر فى الشَّطَّين فَصْلَا[٦]

كَبِساطِ وَشْيٍ جـرَّدَتْ   أَيْدِى الْقُيُون عَلَيْهِ نَصْلَا[٧]

(٤) وقال المتنبي فى سَيْفِ الدولة :

يَهُزُّ الْجَيْشُ حولَكَ جَانِبَيْهِ   كما نَفَضَتْ جَنَاحَيْها الْعُقاب[١]

(٥) وقال السَّرىُّ الرَّفَّاءُ :

وَكَأَنَّ الْهِلَالَ نُونُ لُجيْن   غَرِقَتْ فى صَحيفَةٍ زَرْقاء

** ** **

الشـــرح :

نلاحظ فى المثالين الأول والثانى أن وجه الشبه فى كل واحد من التشبيهين صفة أو صفات اشتركت بين شيئين ليس غير، ويسمى وجه الشبه هنا مفردا ، وكونه مفردا لايمنع من تعدد الصفات المشتركة ، ويسمى التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه كذلك تشبيها غير تمثيل .

وإذا نظرنا إلى التشبيهات التالية نجد أن وجه الشبه صورة لامفرد ، وهذه الصورة مأخوذة أو منتزعة من أشياء عدة، ومن هنا فإن كل تشبيه يسمى تمثيلا .

** ** **

الإستنتـــــاج :

يسمى التشبيه تمثيلا إذا كان وجه الشبه منه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك .

** ** **

(٤) التَّشْبيه الضمنى

الأَمثلة :

(١) قال أَبو تمّام :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَريم مِنَ الْغِنَى
فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكانِ الْعالِى[٤]

(٢) وقال ابن الرومى :

قَدْ يَشِيب الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً
أَنْ يُرَى النَّورُ فِى الْقَضِيبِ الرَّطيبِ

(٣) وقال أَبو الطيب :

مَنْ يَهُنْ يَسْهُل الْهَوَانُ عَليهِ
ما لِجُــرْحٍ بمَيِّتٍ إِيلام

** ** **

الشـــــرح :

قد ينحو الكاتب أو الشاعر منحى من البلاغة يوحي فيه بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة، يفعل ذلك نزوعا إلى الابتكار، وإقامة للدليل على الحكم الذى أسنده إلى المشبه ، ورغبة فى إخفاء التشبيه؛ لأن التشبيه كلما دق وخفى كان أبلغ وأفعل فى النفس.

وإذا نظرنا إلى الأمثلة السابقة نجد أركان التشبيه ونلمحه ولكننا لانجده فى صورة من صوره التى عرفناها ، وهذا يسمى بالتشبيه الضمنى .

** ** **

الإستنتـــــاج :

التشبيه الضمنى : تشبيه لايوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان فى التركيب . وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن.

** ** **

(٥) أغراض التشبيه

الأمثلة :

(١) قال البحترى :

دَانٍ إلى أَيْدِى العُفاةِ وشَاسِعٌ عَنْ كلِّ نِدٍّ فى النَّدى وضَريبِ
كالْبَدْرِ أفرطَ فى العُلوِّ وضوؤُه لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ .

* * *

(٢) وقال النّابغة الذُّبْيانيُّ (١) :

كأنَّكَ شَمْسٌ والْمُلوكَ كَواكِبٌ ... إذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

* * *

(٣) وقال المتنبي فى وصف أسد :

مَا قوبلَتْ عَيناه إلَّا ظُنَّتا ... تَحتَ الدُّجَى نارَ الْفَريق حُلولا(٢)

* * *

(٤) وقال تعالى :

« وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ » .

* * *

(٥) وقال أبو الحسن الأنبارىّ(١) فى مصلوب :

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفاءً ... كَمَدِّهِمَا إلَيْهِمْ بالهباتِ(٢)

* * *

وقال أعرابى فى ذم امرأته :

وتَفْتَحُ - لَا كانتْ - فماً لَوْ رَأَيْتَهُ ... توَهَّمْتَهُ باباً مِنَ النَّار يُفْتَحُ

** ** **

الشـــــرح :

وصف البحترى ممدوحه فى البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيد المنزلة، بينه وبين نظرائه فى الكرم بون شاسع . ولكن البحترى حينما أحس أنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين ، هما القرب والبعد ، أراد أن يبين أن

ذلك ممكن ، وأن ليس فى الأمر تناقض ؛ فشبه ممدوحه بالبدر الذى هو بعيد فى السماء ولكن ضوءه قريب جدا للسائرين بالليل ، وهذا أحد أغراض التشبيه وهو بيان إمكان المشبه .

والنابغة يشبه ممدوحه بالشمس ويشبه غيره من الملوك بالكواكب ، لأن سطوة الممدوح تغض من سوة كل ملك كما تخفى الشمس الكواكب فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك، وبيان الحال من أغراض التشبيه أيضا .

وبيت المتبنى يصف عينى الأسد فى الظلام بشدة الاحمرار والتوقد حتى إن من يراهما من بعد يظنهما نارا لقوم حلول مقيمين ولكنه اضطر إلى التشبيه ليبين مقدار هذا الاحمرار وعظمه ، وهذا من أغراض التشبيه أيضا .

أما الآية الكريمة فإنها تتحدث فى شأن من يعبدون الأوثان، وأنهم إذا دعوا آلهتهم لايستجيبون لهم، ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة، وقد أراد الله جل شأنه أن يقرر هذه الحال ويثبتها فى الأذهان ، فشبه هؤلاء الوثنيين كمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه بالبداهة؛ لأنه يخرج من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين، فالغرض من هذا التشبيه تقدير حال المشبه، ويأتى هذا الغرض حينما يكون المشبه أمرا معنويا؛ لأن النفس لاتجزم بالمعنويات جزمها بالحسيات فهى فى حاجة إلى الإقناع.

وبيت أبى الحسن الأنبارى من قصيدة نالت شهرة فى الأدب العربى لا لشىء إلا أنها حسنت ما أجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه « وهو الصّلب » فهو يشبه مدّ ذراعى المصلوب على الخشبة والناس حوله بمدّ ذراعى بالعطاء للسائلين أيام حياته، والغرض من هذا التشبيه التزين ، وأكثر ما يكون هذا النوع فى المديح والرثاء والفخر ووصف ما تميل إليه النفوس .

والأعرابى فى البيت الأخير يتحدث عن امرأته فى سخط وألم، حتى إنه ليدعو عليها بالحرمان من الوجود فيقول : « لا كانت» وشبه فمها حينما تفتحه بباب من أبواب جهنم ، والغرض من هذا التشبيه التقبيح، وأكثر ما يكون فى الهجاء ووصف ما تنفر منه النفس .

** ** **

الإستنتـــــاج :

أغراض التشبيه كثيرة منها ما يأتي :

١ – بيان إمكان المشبه : وذلك حين يُسند إليه أمر مُستغرب لاتزول غرابته إلا بذكر شبيه له .

٢ – بيان حاله : وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف .

٣ – بيان مقدار حاله : وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة .

٤ – تقرير حاله : كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال .

٥ – تزيين المشبه أو تقبيحه .

** ** **

(٦) التشبيه المقلوب

الأمثلة :

(٢) قال محمد بن وُهيْب الحِمْيَرىُّ (٤) :

وبَدَا الصَّباحُ كأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

(٢) وقال البحترىّ :

كأَنَّ سَناهابالْعَشِىِّ لِصُبْحِها تبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بالْوَعْدِ

(٣) وقال آخر :

أَحِنُّ لَهُمْ ودُونَهُمُ فَـلاةٌ كأَنَّ فَسِيحَها صَدْرُ الحَلِيمِ

** ** **

الشـــــرح :

يقول الحميرى : إن تباشير الصباح تشبه فى التلألؤ وجه الخليفة عند سماعه المديح ، فنحن نرى هنا أن هذا التشبيه خرج عما كان مستقرا فى نفوسنا من أن الشيء يشبه دائما بما هو أقوى منه فى وجه الشبه، إذ المألوف أن يقال إن وجه الخليفة يشبه الصباح، ولكنه عكس وقلب للمبالغة والإغراق بادعاء أن وجه الشبه أقوى فى المشبه، وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع .

ويشبه البحترى برق السحابة الذى استمر لماعا طوال الليل بتبسم ممدوحه حينما يعد بالعطاء ، ولاشك أن لمعان البرق أقوى من بريق الإبتسام، فكان المعهود أن يشبه الابتسام بالبرق كما هى عادة الشعراء ، ولكن البحترى قلب التشبيه .

وفى المثال الثالث شبهت الفلاة بصدر الحليم فى الاتساع، وهذا أيضا تشبيه مقلوب .

** ** **

الإستنتـــاج :

التشبيه المقلوب هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

** ** **

تدريبات على التشبيه

١ – اشرحى بإيجاز قول المتنبى فى المديح ، وبينى جمال ما فيه من التشبيه.

كالبدر من حيث التفتّ رأيتـــــه * * يُهدى إلى عينيك نورا ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهـــــرا * * جودا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها ** يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

٢ – بينى كل نوع من أنواع التشبيه فيما يأتى :

أ – قال المتنبى :

إن السيوف مع الذين قلوبهـــم ** كقلوبهم إذا التقى الجمعان

تلقى الحُسام على جراءة حدّه ** مثل الجبان بكفّ كل جبان

ب – قال البحترى فى المديح :

ذهبت حدّة الشتاء ووافا نا شبيها بك الربيع الجديد

ودنا العيد وهو للناس حتى يتقضى وأنت للعيد عيد

جـ – قال تعالى :

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .

٣ – بينى المشبه والمشبه به فيما يأتى :

قال تعالى : **﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .**

٤ – بينى الغرض من كل تشبيه فيما يأتى :

أ – قال البحترى :

دنوت تواضعا وعلوت مجـــدا ** فشأناك انخفاض وارتفاع

كأنها الشمس تبعد أن تسامى ** ويدنو الضوء منها والشعاع

ب – قال الشريف الرضى :

أحبـــك يالـون الشبــــاب لأننى ** رأيتكما فى القلب والعين توءمـا

سكنت سواد القلب إذ كنت شبهه ** فلم أدر من يمرض القلب منكما

٥ – لم كان التشبيه مقلوبا فيما يأتى ؟

أ – قال ابن المعتز :

والصبح فى طرة ليل مسفر ** كأنه غرة مهر أشقر

ب – وقال البحترى :

فى حمرة الورد شىء من تلهبها ** وللقضيب نصيب من تثنيها

(١) الاستعارة التصريحية والْمَكنيَّة

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور».

(٢) وقال المتنبي وقد قابله مَمْدُوحُه وعانقَه :

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحوَهُ ولا رَجُلًا قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ

(٣) وقال فى مدح سيف الدولة :

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ واللِّمَمُ[١]

* * *

(١) وقال الحجّاجُ فى إِحْدَى خُطَبه :

إِنى لأَرَى رُءُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وحَانَ قِطافُها وإِنّى لَصَاحِبُهَا[٢].

(٢) وقال المتنبي :

ولَمَّا قَلّتِ الإِبلُ امْتَطَيْنَا إِلَى ابن أَبِى سُلَيْمَانَ الخُطُوبَا[٣]

(٣) وقال :

الْمَجْدُ عُوفِىَ إِذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ وزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

** ** **

الشـــــرح

إذا نظرنا إلى كل مثال من الأمثلة الثلاثة الأولى نرى أنه تضمن تشبيها حذف منه لفظ المشبه واستعير بدله لفظ المشبه به ليقوم مقامه بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى فى البلاغة ، وأدخل فى المبالغة، ويسمى هذا استعارة ، ولما كان المشبه به مصرحا به فى هذا المجاز سمى استعارة تصريحية .

ونرجع إلى الأمثلة الثلاثة الأخيرة لنجد أن المشبه به في كل مثال حذف ورمز له بشيء من لوازمه ، ولما كان المشبه به في هذه الأمثلة محذوفا سميت استعارة مكنية .

** ** **

الإستنتـــــاج :

الاستعارة من المجاز، وهى تشبيه حذف أحد طرفيه ، فعلاقتها المشابهة دائما وهى قسمان :

١ – تصريحية ، وهى ما صرّح فيها بلفظ المشبه به .

٢ – مكنية ، وهى ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

** ** **

تدريبات على الاستعـــــارة

١ – عينى التصريحية والمكنية من الاستعارات التى تحتها خط مع بيان السبب :

أ – قال دِعبل الخزاعى :

لاتعجبى يا سَلْمُ من رجل ** ضحك المشيب برأسه فبكى

ب – وقال البحترى يرثى المتوكل وقد قتل غيلة :

فما قاتلت عنه المنايا جنوده * * ولا دافعت أملاكه وذخائره

جـ – وإذا العناية لاحظتك عيونها ** نَمْ فالمخاوف كلهن أمانُ

د – وقال أبو العتاهية يهنىء المهدى بالخلافة :

أتته الخلافة منقادة ** إليه تجرر أذيالها

٢ – حولى الاستعارات الآتية إلى تشبيهات :

أ – قال أبو تمام فى وصف سحابة :

ديمـةٌ سمحة القياد سكوب ** مستغيث بها الثرى المكروب

ب – وقال السر فى وصف الثلج وقد سقط على الجبال :

ألمّ بربعها صبحا فألفى ** مُلِمّ الشيب فى لمم الجبال

جـ – وقال فى وصف قلم :

وأهيف إن زعزعته البنا نُ أمطر فى الطّرس ليلا أصم

٣ – حولى التشبيهات الآتية إلى استعارات :

أ – إن الرسول لنور يستضاء به .

ب – أنا غُصن من غصون سرحتك ** وفرع من فروع دوحتك

جـ - ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾.

د - وإن صخرا لتأتم الهداة به ** كأنه علم على رأسه نار

٤ - اشرحى قول ابن سنان الخفاجي في وصف حمامة، ثم بيني ما فيه من البيان .

وهاتفه فى البان تملى غرامهـــا ** علينا وتتلو من صبابتها صُحفا

ولو صدقت فيما تقول من الأسى ** لما لبست طوقا وما خفيت كفا

** ** **

(٦) المجازُ المرسل

الأَمثلة :

(١) قال المتنبي :

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابغَةٌ أُعَدُّ مِنْها وَلا أُعَدِّدُها[١]

(٢) وقال تعالى : « وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً » .

(٣) كَمْ بَعَثْنَا الْجَيْشَ جرًّا رًا وَأَرْسَلْنا الْعُيُونا [٢]

(٤) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

« وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ ».

(٥) وقال تعالى : « وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ » .

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

«إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فاجِرًا كَفَّارًا ».

(٧) وقال تعالى : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » .

(٨) وقال تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ » .

** ** **

الشـــــرح :

تأملى الأمثلة السابقة :

كلمة « أياد » فى قول المتنبى لم يرد بها الأيدى الحقيقية ولكنه أراد بها النعم ، وهناك علاقة بين الأيدى الحقيقية والنعم ؛ لأن الأيدى هى التى تمنح النعم فهى سبب فيها ، فالعلاقة سببية .

وقوله تعالى : ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ الرزق لاينزل من السماء ولكن الذى نزل من السماء مطر ينشأ عنه النبات الذى منه طعامنا ورزقنا ، فالرزق مسبب عن المطر ، فهو مجاز علاقته المسببة .

أما كلمة « العيون » فى البيت فالمراد بها الجواسيس ، والعلاقة أن العين جزء من الجاسوس فأطلق الجزء وأريد الكل ، فالعلاقة هنا جزئية .

وفى قوله تعالى : ﴿ وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ﴾ . نرى أن الأصابع فى الآية الكريمة أطلقت وأريد أطرافها فهى مجاز علاقته الكلية.

وفى قوله تعالى :

﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ نجد أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سن الرشد بعد أن كانوا يتامى، فكلمة اليتامى هنا مجاز والعلاقة اعتبار ماكان .

وفى قوله تعالى : ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ نجد أن فاجرا وكفارا مجازان والعلاقة اعتبار ما يكون .

أما قوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ فإننا نعرف أن معنى النادى مكان الاجتماع، ولكن المقصود به فى الآية الكريمة مَنْ فى هذا المكان فهو مجاز علاقته المحلية .

وفى قوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾ فالنعيم مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية .

** ** **

الإستنتـــــاج :

١ – المجاز المرسل كلمة استعملت فى غير معناها الأصلى لعلاقةغير المشابهةمع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

٢ – من علاقات المجاز المرسل :

السببية – المسببية – الجزئية – الكلية – اعتبار ماكان – اعتبار ما يكون– المحلية – الحالية .

** ** **

تدريبـــــــات

أ – بينى علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتى :

١ – قال ابن الزيات فى رثاء زوجه :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ** بعيد الكرى عيناه تنسكبان

٢ – وقال السموءل :

تسيل على حد السيوف نفوسنا ** وليس على غير السيوف تسيل

٣ – لا أركب البـــحر إنـــى ** أخـاف منه المعاطـــب

٤ – وما من يد إلا يدُ الله فوقها ** ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

٥ – وقال المتنبى فى دم كافور :

إنى نزلت بكذابين ضيفهم ** عن القرى وعن الترحال محدود

٦ – وقال :

رأيتك محض الحِلم فى محض قدرة ولو شئت كان الحلم منك المهندا

ب – بينى كل مجاز مرسل وعلاقته فيما يأتى :ـ

١ – قال تعالى فى شأن موسى عليه السلام :

﴿ فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن ﴾.

٢ – وقال تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصُمْهُ ﴾ .

٣ – وقال تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ .

٤ – قال عنترة :

فشككت بالرمح الصم ثيابه ** ليس الكريم على القنا بمحرم

الكناية

الأمثلة :

(١) تقولُ العرب : فُلانَةُ بَعِيدَةُ مَهْوَى القرْطِ .

(٢) قالت الْخَنْسَاءُ(١) فى أخيها صخرٍ :

طوِيلُ النّجادِ رَفِيعُ الْعِمَاد كثِيرُ الرَّمَادِ إذا مَا شَتَا(٢)

* * *

(٣) وقال آخر فى فضل دار العلوم فى إحياء لغه العرَب :

وَجَدَتْ فيكِ بنْتُ عَدْنانَ دارًا ذَكَّرَتْها بَدَاوَةَ الأَعْرَاب

(٤) وقال آخر :

الضّاربين بكُلِّ أَبْيَض مِخْذَمٍ والطاعِنينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ(٣)

* * *

(٥) المجدُ بَيْنَ ثَوْبيْكَ . والكَرَمُ مِلْءُ بُرْدَيك .

** ** **

الشـــــرح :

مهوى القرط المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف. وإذا كانت هذه بعيدة لزم أن يكون العنق طويلا، وقد عبر العربى بهذا التعبير عن طول عنق المرأة .

وفى المثال الثانى : تريد الخنساء أن تدل بهذه التراكيب على شجاعة أخيها . وفى المثال الثالث : أراد الشاعر الإشارة إلى اللغة العربية بقوله :

[بنت عدنان] .. وفى المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب فعبّر عن القلوب بـ « مجمع الأضغان » .

أما المثال الأخير فهو كناية عن نسبة.

** ** **

الإستنتـــــــاج :

١ – الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

٢ – تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام، فإن المكنى عنه قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا ، وقد يكون نسبة .

** ** **

تدريبـــــــات

بينى نوع الكنايات الآتية :

١ – قال أبو نواس فى المديح:

فما جازه جود ولا حل دونه *** ولكن يسير الجود حيث يسير

٢ – قال الشاعر :

بيض المطابخ لاتشكو إماؤهم ** طبخ القدور ولا غسل المناديل

٣ – وقال آخر :

مطبخ داود فى نظافتـــه ** أشبه شيء بعرش بلقيس
ثياب طبّاخه إذا اتسخت ** أنقى بياضا من القراطيس

٤ – وقال آخر :

فتى مختصر المأكـــــو ** ل والمشروب والعطر
نقيّ الكأس والقصعـــ ** ـة والمنديـل والقـدر

** ** **

فهرس الموضوعات